الخرافات في بلاد الحضارة

ان التي سماها ابو تمام في ايامه اي منذ نحو الف سنة « تخرصاً واحاديثاً ملفقة » وحكم عليها في ذلك العهد الذي بلغت فيه اشدها بانها « ليست بنبع اذا عدّت ولا غرب » هي ما سميه نحن الآن بالخرافات ظاهراً في حين اننا نكبر امرها باطناً ونعاملها معاملة الحقائق لا الاوهام وعصرنا عصر النور والحضارة والعرفان

سر اينما كان من اوربا تجد ما يدهشك من آثار تشبث اهلها بالخرافات واعتقادهم بالجن وظهور ارواح الموتى للاحياء وشفاء الامراض بقوة خارقة سرية واذى العين والقائها بالتعاويذ والرقى والتمائم والسحر والشعوذة الى آخر ما هنالك . وقد جاوزت هذه الخرافات البلاد الحديثة العهد بالحضارة كروسيا والبلقان الى القديمة العهد بها كفرنسا وانكلترا وانتقلت بمثل العدوى من رؤوس الجهلاء الى رؤوس العقلاء . ففي فرنسا مزارات لا تحصى وفي انكلترا حديث « البيوت المسكونة » حتى افردت احدى مجلاتها الكبرى لها باباً خاصاً بها وروت عن تلك البيوت المسكونة كل عجيب وغريب

وبالامس كنا نطالع « السينغك اميركان » وهي اكبر مجلات اميركا العلمية كما يدلّ اسمها فرأينا فيها فصلاً افتتاحياً بعنوان « اميركا الموسوسة » قالت فيه

لو ان صينياً او هندياً تربى تربية عصرية وزار الولايات المتحدة الاميركية ثم عاد الى وطنه وشاء ان يكتب رحلته ويضمنها ما رأى وسمع عندنا لكتب ما يأتي :

ان الاميركيين شعب كثير الخرافات والوساوس . فجميعهم تقريباً يعتقدون بصنوف عديدة من علامات الفأل والشؤم او السعد والنحس ومن اشهر تلك العلامات وأكثرها شيوعاً بينهم ان الرقم ١٣ رقم نحس . فالسياح منهم لا ينزلون في غرفة عددها ١٣ في الفنادق او البواخر فلذلك يحذف اصحاب الفنادق والبواخر هذا الرقم في تعيير غرفهم . والمتعلمون رجالاً ونساء لا يجلسون على مائدة عدد الآكلين حولها ١٣

وترى المنجمين وقرّاء الكف والجمجمة والعائفين والقافة زاهين زاهرين في كل بلدة اميركية . وقد بلغ التنجيم غايته في بلد آكبّ علماؤه على درس علم الفلك حتى صاروا اخصائيين فيه بين علماء الارض . ولعل المتعلمين منّا الذين طالما سمعوا ببراصد يركس ولك ومونت ولسن يدهشون اذا اقول لهم ان كثيراً من صحف اميركا الكبرى تنشر جدولاً يومياً للطوالع تزعم انه مبني على حسابات فلكية وكثيراً ما تنشئ مقالات طويلة في تكهنات ما انزل الله بها

من سلطان . وكل سنة تصدر في اميركا كتب في التنجيم يتصرف كاتبوها في هذا البحث كأنهُ من مباحث العلوم القانونية وفروعها الرسمية

نعم واكثر من ذلك . فمنذ بضعة اشهر اصدر محلٌّ من اشهر المحال التي تنشر الكتب في نيويورك كتاباً في التنجيم قرظتهُ مجلة من اعظم مجلاتنا بقولها « كتاب عن تأثير الكواكب في الناس واعمالهم وحركاتهم وسكناتهم . وهو مقدمة للتنجيم قوية البنيان متينة الاركان . وفيهِ اخبار عملية عن وضع جداول للطوالع » . ولو كان كتاباً في التنجيم لهان اذ معرفة التنجيم نافعة حتى في هذا العصر لا للانباء بالمستقبل ولا للتكهن بالغيب بل للاستعانة على فهم الماضي . ولكنهُ ليس من ذلك في شيء فقد كتب في القرن العشرين لاهل القرون الوسطى قرون الجهل والظلمة . وانكى من ذلك ظهورهُ لا في بكين ولا في بغداد ولا في سرنجاباتام بل في مدينة نيويورك

وفي مدينة بورتلند بولاية اوريجون مدرسة « كلية » للتنجيم وقد مضى عليها بضع سنوات وهي في نمو وازدياد ولها « اساتذة » خاصون بها . واذا رجع الواحد منّا الى الموسوعات العلمية ككتب الانسيكلوبيديا رآها تقول ان التنجيم فنٌّ قديم لا اثر لهُ الآن . ولكن اذا قلّب المذكرات او التقاويم السنوية التي توصف بانها طبية والتي يطبع منها عدد عظيم من الطبعات في السنة الواحدة رأى فيها اشارات واضحة الى تأثير الطوالع والابراج في اعمال الناس واحكاماً باتة بانها مصدر ما يرى من الخير والشر والقيمة المسيطرة على كل عضو من اعضاء الجسم الانساني . وهذا كلهُ مبين بالرسوم الجميلة والخرائط المتقنة

ومن اضحك ما يروى انهُ في خلال جلسات المؤتمر العلمي الاميركي الذي عقد في مدينة وشنطن في الشتاء الماضي خصّت احدى الصحف عمودين من اعمدتها كل يوم بوقائع المؤتمر . وفي احد الايام صدرت وبين هذين العمودين مقالة تملأ نصف عمود وفيها خلاصة ما تكهن بهِ احد العرافين عن الحرب الاوربية القائمة الآن . فقد جمعت المعرفة والعرافة في صفحة واحدة من صفحاتها بل في صدر واحد وجعل لها كليهما عنوانان حروفهما متساوية في الضخامة ولم يفرق بينهما بشيء من الاشياء » انتهى

نقول ولو كان ذلك عندنا ما كان في الامر غرابة لان المعرفة والعرافة في اللغة العربية من اصل واحد واشتقاقهما واحد اما وذلك في اميركا واميركا بلد المدنية الحديثة الراقية التي يجب ان تفرق بين الوهم والحقيقة و « تخلّص بين الماء والماين » كما يقول الشاعر فحليلهُ ان تصديق الخرافات صفة قديمة رسخت في النفوس بمرور القرون الكثيرة عليها فلا تزول منها

بعلم مضى عليه قرن او قرنان وقد لا تزول ابداً . ونحن نعرف جماعة من اكبر العلماء وارسخهم في العلوم الطبيعية كعباً وهم لا يستطيعون ان يحرروا انفسهم من قيد الخرافات مع محاولتهم ذلك تما قولك بجماهير العامة السريعة التصديق . وفي كل بلاد تجد فئة من الاذكياء الذين يرون موضع الضعف هذا من الجماهير فيتخذونه آلة للكسب وجر الربح . وهي فرصة سانحة لهم وهم اقدر الناس على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من ايديهم

اخبرنا صديق صادق انهُ كان في باريس طبيب تعلم وتخرج في مدرستها الطبيةَ ونال الدبلوما المؤذنة لهُ بتعاطي صناعة الطب فاقام في منزل وكتب اسمهُ على بابهِ واستعان ببعض الاصدقاء على تعريف الناس بهِ ومضت عليهِ الايام والشهور وهو لا يكتسب من صناعتهِ ما يفي باجرة منزلهِ واخيراً اقنعهُ بعضهم ان يلجأ الى التدجيل ويدعي انهُ يشفي بالتنويم المغنطيسي وكتابة الحجب ففعل واقبل عليهِ المرضى والموسوسون واشتهر امرهُ وتبعهُ البوليس ورفعوا امرهُ الى المحكمة فابرز الشهادة التي تجيز لهُ التطبيب واستمرَّ على صناعتهِ . ونحن نعرف طبيباً نال الشهادة الطبيةَ من باريس ومن لندن ايضاً ولكنَّ كسبهُ المالي جاء من طريق المعالجة بالاستهواء . وهذه الحال لا تصلح الاَّ بعد القرون الكثيرة

مصر منذ تسعين سنة

(٩)

— اسرار الاهرام —

عزمت على زيارة الاهرام قبل ان ابرح مصر فذهبت الى فصل دولتي وعرضت عليهِ عزمي فتلطف بصاحبتي رغماً عما بهِ من المرض وخمول الجسم . ولما وصلنا الى فم الخليج اشتد بهِ السعال فاضطر ان يعود وترك احد القواصة لخدمتي ولما ودعني قال لي لقد اشتد بي الضعف يادي نوفال واراني مضطرًّا ان اتركك وحدك فاذهب مصحوباً بالسلامة وقد هيأت لك مركباً عند مرفإ مصر القديمة فاركب بحراسة الله واجتز البحر الاعظم وها ان عيني لتبعك الى ان تصل الى الجيزة وهناك تستأجر الحمير فتوصلك الى الاهرام . واذا صعدت الى قمة الهرم الاكبر اوصيك ان تحصي بدقة درجاتهِ وتعد « مداميكهُ » من اسفله الى قمتهِ لان العلماء على خلاف في ذلك . واذا زرت اهرام سقارة ودخلت مغاور المومياء ارجوك ان تأتيني بمومياء ابيس Ibis (طائر اللقلق) لاني اريد ان اقابل شكل هذا الطائر القديم بشكلهِ الجديد كما نراهُ الآن على ضفاف النيل